

القصدية التداولية مقارنة وتطبيق

قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة"

إشراف الدكتورة: قوتال فضيلة

الطالبة الباحثة: وسام مرزوقي

مخبر الخطاب الحجاجي

مخبر الخطاب الحجاجي

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

ما الذي نسعى إليه من خلال قراءتنا للنصوص الشعرية؟ تساؤل جوهري كثيرا ما يتبادر إلى أذهاننا عند قراءتنا للنص الشعري، هل نحن في سعي لمعرفة ماذا يقول النص الشعري، أم ماذا يقول كاتبه؟ وهل هناك اختلاف بين ما يقوله النص وبين ما يريده الشاعر؟ وبما أن قصد الشاعر ذاتي هل يمكن لنا أن ندعي معرفتنا بما يقوله داخل نصه؟ ومتى يكون قصد الشاعر هو ما يحمله النص لنا؟ وإلى أي مدى يستطيع الشاعر توجيه نصه الشعري ليكون وفقا لرؤيته؟ وهل يمكن الجزم بقصد محدد في نصوص الإبداع الشعري؟. طبيعي جدا أن تكون الإجابة على مثل تلك التساؤلات مرتبطة بطبيعة العلاقة بين الشاعر ونصه، في سياق يحتضن كثيرا من المفاهيم التي تخضع لاختلافات مفهومية، وإلى شروط إشباع قصدي يمنح الفعل التواصل خصوصيات دلالية، وينتقل به من تمثيل ذهني مرتبط بوعي الشاعر إلى تجسيد تواصل لغوي مرتبط بوعي النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: قصدية؛ تداولية؛ نص شعري؛ قارئ؛ تأويل؛ دلالة.

The Deliberative Intent: an Approach and Application; Sample Readings in Al Akhdar Baraka Poetry

Abstract: What we seek through our reading of the poetic texts? A fundamental question that often comes to our minds when reading the poetic text, do we seek to know what poetic text, or what the writer says? and whether there is a difference between what the text says and what the poet? Since the intent of the poet is self can we claim to know what he says inside the text? And when it is the intention of the poet is what it the text gives us? And to which extent can the poet direct his poetry to be in accordance with his vision? Can we decide the specific intent in the texts of the poetic creativity?

Very normal to have answers to such questions connected with the nature of the relationship between the poet and his text, in the context of embracing many of the

تاريخ تسليم البحث: 15 نوفمبر 2017.

تاريخ قبول البحث: 25 فبراير 2018.

القصدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر برحلة" — مجلة نصل الخطاب

concepts that are subject to conceptual differences, and the conditions of satisfaction mean gives an interactive privacy act indicative, and moves from a mental representation linked to the poet consciousness to the linguistic embodiment linked to the awareness of the poetic text.

Keywords: Intentionality; Pragmatics; poetic text; the reader; interpretation; the significance.

تمهيد:

يحمل العمل الأدبي أفكار ورؤى مبدعه، ويؤدّي وظيفته الجمالية باستحضار تجربة ما يهيب بها لقارئ ما، وفي اللحظة التي يدرك فيها القارئ العمل الأدبي ويتفاعل معه؛ يتأسّس القصد ويتشكّل أثناء عملية قوامها التفاعل بين العناصر النصية؛ بين استراتيجية النصّ والذات المبدعة، والذات القارئة المجسّدة لدينامية التأويل، فالتأويل يمنح النصّ أبعاداً دلالية من خلال تفعيله للمعنى، فيغدو سبيلاً لبلوغ القصد. ولا يتجاوز التأويل حدود القصدية فما يقوله النصّ وما يقصده، يحتاج إلى كشف العلاقة بين عناصر السياق والبنى التحتية للنصّ، وتأتي علاقة السياق بالقصد من كون العديد من المعاني لا يمكن قصّها إلّا بمعرفة سياقها الواردة فيه.

ترتبط القصدية التداولية بالسياق سواء كان نصياً داخلياً أو خارج نصّيفي صورة تتجاوز إطار الثنائية النموذجية (مرسل - مرسل إليه)، ذلك أنّ الخطاب الذي يتشكّل فيه القصد هو الخطاب الموضوع في سياقه وبالتالي فهمه وتأويله وتحليله يكون تبعاً لمؤشرات سياقية كقيلة بالإحاطة بالنصّ والوقوف على خصوصياته طالما أنّ النصّ مفتوح افتراضاً وقابل للتأويل.

إنّ رصد الدينامية التي تتشكّل من خلالها المقاصد، تنظمها وتوضحها اللغة داخل الفعل الخطابي باعتباره ظاهرة من الظواهر الضرورية لإنجاز الخطاب عموماً والخطاب الشعري على وجه الخصوص، وبوصفه أيضاً إنجازاً يحتاج طاقة لفهمه وتأويله يمكن أن تُسهم هذه الطاقة لاحقاً في تصحيح مسار القصد، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال مساءلة النصّ ومحاورته كونه "عبارة عن وسيط لغويّ ينقل فكر المؤلف إلى القارئ"¹، فيتوجّب على هذا الأخير الكشف على دلالة النصّ ومقصديّة مؤلّفه بالتركيز على المعنى الماورائي المحدّد لآليات الفهم والتأويل والمشيّد لاستراتيجية تحقيق القصد.

لا تختلف وقفة متلقّي النصّ الشعري كثيراً عن وقفة متأمل اللوحة التشكيلية في فهم مقاصد الباث، إذ يستبدل الشاعر الصبغات التي فيها بمرجعيّات يقوم بتوزيعها على مساحة النصّ الشعري، ترصدها جميع الحواس. فالفعل الانسانيّ هنا واحد "يمكن أن نقسمه إلى أقسام عديدة بحسب اختلاف زوايا النّظر إليه وحيثيّات النّظر والآثار المترتبة عليه فقد

ينقسم من حيث اعتباره إلى فعل معتبر وفعل غير معتبر وذلك بحسب القصد والنية كما نستطيع أن نقسمه إلى فعل مؤثر وفعل غير مؤثر وذلك بالنظر إلى الآثار المترتبة عليه². من خلال هذه المقولة نستنتج أنّ القصد هو المحدّد لطبيعة القول والفعل باعتبارهما معياراً يحفظ للنص خصائصه وآليات اشتغاله.

أولاً: القصد في إطاره الدلالي.

يعدّ القصد أحد معايير نظرية نحو النص، ومحوراً من محاور التداولية التي تدرس أبعاد العملية التواصلية، باعتبارها فرعاً "من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم"³، وباعتبار اللغة أيضاً نشاطاً ينجز عن قصد يريد المتكلم الوصول إليه، من خلال جملة الوقائع اللغوية ليكون نصاً.

ومتأمل الثقافة العربية القديمة، يجد اهتمام العرب "بهيئة المتكلم ومكانته لما لها من أثر بالغ الأهمية في استجابة المتلقي وتفاعله مع الكلام"⁴، ولقد طرح "عبد القاهر الجرجاني" أفكاراً جديدة بالاهتمام، تناول من خلالها القراءة والقصد خاصة في كتابه "دلائل الإعجاز"؛ الذي أكد فيه على دور المتكلم وقصديته، ودعا فيه القارئ إلى الوقوف على النص الأدبي كاملاً، حتى يستجلي كنهه ويكشف ستار المعنى عنه، حيث جعل مقاصد الكلام ظاهرة وخفية، وأطلق عليها المعنى ومعنى المعنى.

كما ارتبط معيار القصد بالفلاسفة المفكرين الأوروبيين في العصور الوسطى، حيث كان مفهوم القصد عندهم فعلاً عقلياً في طريقة إدراك موضوع ما، طوره فيما بعد "هوسرل" حتى أصبح أساساً معرفياً تقوم عليه فلسفته الظاهرية، وربطه بالفعل البشري، إذ أن وراء كل فعل بشري قصد معين، وأنّ النفس البشرية تعيد صياغة المعنى وتعيد تشكيله وفق معطى القصد وصولاً إلى معنى المعنى أو لغة اللغة.

يتّضح دور القصد الأساسي في بلورته المعنى كما هو عند منشئه، وفي اختيار الاستراتيجية التي تنقل تعابيره، كما تتوضّع مقاصد المرسل وكفاءته التداولية عن طريق استراتيجيات التخاطب، بحيث تساهم في فاعلية إنتاج الخطاب بفتحها مجال التوافق مع السياق مهما كان نوعه _ عاماً أو خاصاً _، فمعرفة سياق الخطاب متوقّفة على معرفة القصد توقفاً رئيساً، وعلى صياغته في تداول لسانی بين طرفي الكلام وصولاً إلى المعنى الثاوي وراء الكلمات، إذ أنّ "دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل"⁵ تكشف عن الدور الذي يؤديه تسلسل العناصر اللغوية وتفاعل بعضها مع بعض في عمليتي الفهم والإفهام الضروريتين في عملية التخاطب.

التحدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر برحلة" — مجلة نصل الخطاب
ولأنّ دراسة اللغة في الاستعمال هو ما تُعنى به استراتيجيات الخطاب بمختلف معاييرها، فإنّ هذا يتطلب حقلاً تداولياً يعتدّ بالسياق الذي تستعمل فيه، كونه يقوم على مفاهيم ومعايير عديدة تدرس المنجز اللغوي في إطار التّواصل، وليس بمعزل عنه. ومن ناحية الإطار اللغوي العام، فقد عني الحقل التداولي "بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، إذ يمكن تصنيف هذه الجوانب إلى ثلاث مسارات يتضمّن كلّ منها عددا من الدّراسات بتطوراتها المتلاحقة. وذلك بشكل عام. وهذه المسارات العامّة هي: الأفعال الكلاميّة، والقصد، أو المعنى التداولي، الإشاريّات. ولا يتمّ تحديد هذه الجوانب بدقة، إلّا في الخطاب المستعمل"⁶.

وعن أهميّة السياق في دراسة وتحليل القول الطّبيعي، ودوره في توجيه المعنى وإضاءة مجاهيل النّص ورفع غموضه، يمكن أن نعدّه ذخيرة مرجعيّة تعمل على تأصيل المعنى وتوسيعه عبر حلقة تواصلية تُتداول فيها الألفاظ والمقاصد، فقد أصبح من الصّعب على الدّارس اليوم تجاوز حساسيّة المفاهيم، دون استحضار السياق المعرفي لها، ودون وعيه التّام بتداخل العناصر التداولية واستراتيجية تطويقها المعنى والتقاط مقاصده، كما أصبح من الضّروري تجاوز النّظرة النّصفية أو الجزئية التي لا تحفل بالسياق؛ فاللوحة الزيتية مثلاً تتحوّل إلى منظر بشع عندما نغطّي نصفها أو نحجب قسماً منها عن النّظر، كذلك مفاهيم النّص مرهونة باكتمال سياقها اللغوي وبيان مقصدها المفضي إلى تععيد المعنى التداولي.

لقد أعادت التداولية طرح سؤال الغاية والمقصد مرّة أخرى في سياق جديد، فأثبتت مقدرتها على الوصول إلى مقاصد المتكلّم لا عن طريق المعنى الحرفي للنّص فحسب، بل من خلال دراسة المعنى الذي يرمي إليه النّص ومنتجه، وفق اعتبارات عدّة يحكمها السياق عامة. وتناولها للنصوص الإبداعية، بوصفها حقيقة متعدّدة الوجوه، ولها آفاق زمانية ومكانية تعبّر عن النّص بين المتكلّم والمخاطب، أو ما يكشف عن سؤال المرثي في التّواصل داخل نصوص اللغة والأدب.

إنّه الحقل التداولي الذي يبحث عن كيميّة اكتشاف المتلقّي مقاصد المتكلّم، ويدرس "جوانب السياق التي تشقّر شكلياً تراكيب اللغة"⁷، دراسة تداوليّة محضّة تُعنى بإنجاز اللغة على البعد التداولي المجسّد في مقولات الفعل والإنجاز والسياق بوصفها وظائف علامات للفهم، وهو بهذا يختلف عن الدّراسة التداولية المدمجة التي تدرس العلاقة بين العلامة ومستعملها، بوصفها أحد فروع السّيميائيات. ولا يمكن إنكار دور المتكلّم في هذا الحقل؛ الذي تتحدّد به هويّة الخطاب بمفهومها التداولي، كما لا يمكن إنكار دور القارئ وتلك العلاقة _ بين المتكلّم والقارئ _ التي يحكمها السياق "الظرفي والفعل والوجودي والإحالي"⁸.

والنصوص الشعريّة في دائرتها التخاطبيّة تمارس لعبة التداول بامتياز، من خلال طرحها أفكار النّاص بواقع ومنظور تداولي، على مستويات دلاليّة وسياقيّة متعدّدة، ولأنّ نموّ اللّغة الدّلالي يستفيد من تداول المقاصد، كان البعد الموضوعاتي للنصوص الشعريّة كفيل بتحقيق تلك المقاصد في مقتضياتها المرجوّة.

يأتي الخطاب الشعري عتبة أساسيّة في مسيرة هذا التداول، ليكرّس نوعيّة تعاطي وتمائل القضايا المطروحة، وليعكس ما يعزّز فعل التّوليد والتّحويل، حين يستعين باللّغة التي تضع شرعيّتها انطلاقاً من فعل التّداول، وليجعلنا نتساءل "كم معنى هناك على أساسه يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمّناً في قولنا شيئاً، فعلنا لشيء معين، أو يكون بواسطة قولنا شيئاً فعلنا لشيء ما؟"⁹، فيصبح الخطاب الشعري بناءً على ذلك محاولة دائمة لتحريك فعاليّة التّوليد، وبالتالي يفتح المجال واسعاً لتداخل وتعدّد الأصوات والمواقف داخل النّص الواحد.

وطبيعي أن يفرض هذا التّداخل ضرورة صياغة استفهام حول ما يعنيه النّاص بين كل ما يتاح له من معان، ذلك أنّ اللّغة ليست بريئة بتعبير رولان بارت، يسعى القارئ إلى تأسيس وعي مواز لها، في الوقت الذي يسعى فيه الشّاعر إلى خلخلة ما تعنيه اللّغة وما يعنيه هو بوصفه صديق اللّغة وخصمها في آن معا.

وجب التّفريق هنا بين المعنى اللفظي الذي يتجاوزه الشّاعر، وبين ما تعنيه لغة الشّاعر الخاصّة التي تحوي مقاصده بدقّة متناهية، إذ أنّ المعنى اللفظي للنّص لا يتوافق مع قصد النّص، والحديث عن قصديّة النّص مرتبط بتخمينات القارئ، لذلك يقترح "أن روبرو لو موشلار" نوعين من المقاصد، نوع يتّصل بالقول وهي مقاصد موضعيّة، ونوع يتّصل بالخطاب وهي مقاصد إجماليّة.

ثانياً: القصد في إطاره التّداولي

1- القصد والنّص الشعري.

يعتبر النّص الشعري فعلاً دلالياً أو تدليلياً، ذا مقصد وقيمة مرجعيّة، له نمطه اللّغوي الخاصّ به، وما يفرضه نمط النّص اللّغوي وشكله الظّاهر قد لا يعبر عن قصد المرسل، إذ له من التّشويش والتّكثيف ما يتجاوز اللّغة الحرفيّة، وله من القدرة ما يضعنا بين قصدين، قصد لغوي حرفي ظاهر، وقصد لغوي دلالي باطن، فيكون على المرسل إليه فهم أحد القصدين للوصول إلى معاني النّص؛ عبر عمليّة تأويل العناصر الواردة في النّص الشعري، والتي تفترض معرفة من المرسل، "وزمان ومكان إنتاج الخطاب"¹⁰، فمعتقدات وتصورات ومرجعيّات المتكلّم

القصدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر برصخة" — مجلة نصل الخطاب
الفكرية والمعرفة المتداولة بينه وبين المخاطب تعدّ مرتكزا يساعد في بيان مقاصد النص؛ وقد عبّر عنها طه عبد الرحمن بالمعرفة المشتركة.

لذلك يركّز التحليل اللساني على نقطة مهمة، وهي أنّ الكلام باعتباره فعلا قصديا يتم عبر أفعال التلفظ اللسانية، فإن كنّا بصدد تحليل فعل كلامي ما، يجب أن نقف على عنصرين هامين هما: قصد المتكلم، وأداته التي يستظهر بها قصده، وكل تحليل يتجاوز هذين العنصرين ويركّز فقط على العناصر اللسانية والإشارات -طبقا لنظرية أفعال الكلام- هو تحليل ناقص وجاف.

وعملية الوصول إلى مضامين النص الشعري الخفية، وفهم مقاصده يساهم فيها السياق بشكل فعال، كون النص إنجازا لغويا يحمل عددا لا متناه من الرموز والشفرات، كما يساهم فيها القارئ كون النص الشعري نصا فقد تداوليته، ومهمة القارئ هنا أن يعيد إليه تلك التداولية، بحيث يقرأ النص الشعري ويؤوله وفق رؤيته الاستمولوجية، فيتحول النص من فعل لساني وعمل لغوي إلى صراع بين المقاصد والمعاني غير الثابتة.

فالمعنى في النص يتغير، وهذا التغير تعبير يدلّ على اللغة الحوارية بين النص وبين قارئ النص الذي يقرأه كما يريد هو، فبلورة المعنى كما هو عند منتج النص تقتضي مراعاة كيفية التعبير عن القصد، لأنّ هذا الأخير لم يعد "تهجية لوعي المعنى، بل إنه صار في تفكيك التعابير"¹¹، كما تفترض انتقاء الاستراتيجية الأمثل لنقل معاني النص ومراعاة كل العناصر التي تكفل تحقيق الانسجام والتفاعل.

يستدعي النص الشعري، بوصفه توليد وتحويل المكونات والعناصر اللغوية في إطار تداولي معين، نصوصاً أخرى يحاورها، يتميز بحرصه على قصديّة اللغة لأنّ الدينامية التي تنتظم من خلالها اللغة لتشكل نصاً شعرياً، تتجاوز قواعد اللغة ومحددات الجنس وأطر إنتاج النص الأدبي، غير أنّ اللغة -كمادة- وحدها ليست كافية لفهم قصد النص والنّاص، فلا بدّ من معرفة الماورائيات التدلّلية التي تجمع بين اللغة ومختلف السياقات الأخرى.

فالنموذج الشعري بتكويناته اللغوية هو نموذج غير مكتمل لحظة بنائه مرجعيته الخاصة، يبقى في حاجة إلى عملية تسييج من أجل الوصول إلى مقاصده، وتأدية الوظيفة التي وُجد لأجلها "ذلك لأنّ فهم القصد التواصلية للمتكلّم لا يعتمد فقط على الدلالة اللسانية للقول، بل ينطلق منها ويتجاوزها بتشغيل كلّ أنواع المقدمات والمؤشرات والقرائن السياقية"¹²، وعبرها ينتج النص الشعري معادلته الكيميائية من خلال تفاعل لغوي لساني بين عناصره الداخلية والخارجية، فالنص الشعري حقل معرفي، وبؤرة دلالية في بحثها الدائم عن ذات واعية يستثيرها فتكتشفه.

وليس القصد "مجرد فكرة محدّدة تتجسّد في العمل، بل هو دافع نفسي متشابك ومعقّد ومتفاعل مع خلفيّات في ذهن المؤلّف"¹³، وعليه يصبح العمل الشعري قابلاً لتعدّد القراءات التي تمنحه معان عدّة، بل إنّ قارئاً واحداً يمكن أن يتعدّد لديه المعنى حول القصد "مما يجعل من الحكم على معنى النّص أمراً نسبياً لا يمكن الجزم به، ممّا يعني تعدّد المعنى بتعدّد القراءة للنّص"¹⁴ وبالتالي يكون موقف القارئ من قصد الشّاعر غير مؤكّد، بالرّغم من أنّ البدائل بينهما تجمعهما دلالات مشتركة، إلّا أنّ كلّ منها مقترن لدى الشّاعر والقارئ بمعانيه الخاصة. وهنا يحدث تنافر بين النّص كبنية تحتفظ بقصدية، وبين قارئ يملك قصداً يحاول إسقاطه على النّص، ولا نقصد هنا القراءة الإسقاطيّة التي تهمل النّص وتركّز على النّاص، بل القراءة العميقة "للنّص في ضوء سياقه الفنّي"¹⁵ التي تنطلق من النّص وصولاً لقصد النّاص. وقد أشار "عبد القاهر الجرجاني" إلى ضرورة التّناسب بين المعنى الأوّل - للباحث - والمعنى الثّاني - للمتلقّي -، وإلى ضرورة وجود "معيّار الإعلام المقصود" بين المخبر - منشئ الكلام - وبين متلقّيه، فمن شرط البلاغة - حسب رأيه - "أن يكون المعنى الأوّل الذي تجعله دليلاً على المعنى الثّاني ووسيطاً بينك وبينه، متمكّناً في دلّالته، مستقلاً بوساطته، يسفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أيّين إشارة، حتى يخيل إليك أنّك فهمته من حاف اللفظ، وذلك لقلّة الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك"¹⁶. وبما أنّ عمليّة الكتابة تفترض عمليّة القراءة كتلازم جدلي؛ أصبح دور القارئ نقل النّص من فعل التّكوين إلى فعل التّأويل وبالتالي إتمام إنجاز النّص وإعطائه تحقّقه الفعلي.

2- القصد بين الشّاعر والمتلقّي

تقرّ كل من نظريّة القراءة والتّأويل والنّظريّة النّصية بارتباط القصد بالمتلقّي سعياً منه "للخروج بحقيقة القصد، والتّخلص من سلطة المعنى الأحادي، ومن عنف القراءة المغلقة"¹⁷ فمع تحوّل الدّراسات النّقديّة من القصد عند المؤلّف إلى القصد عند المتلقّي بدأ الاهتمام مُنصبّاً على القارئ. وعلى الرّغم من الجدليّة القائمة بينه وبين الأثر الفنّي إلّا أنّه مدعو لتحقيق التّوافق النّصي، بوصفه استراتيجيّة خارج نصيّة تلجّ على القراءة اللّامتناهيّة والمغايرة. وطبيعة النّصوص الشعريّة المعاصرة تقتضي من القارئ أن يكون أكثر حضوراً في إنتاج الدّلالة وتأويل المعنى، فلطالما ارتبط التّأويل بالقصد، فبتعبير "ريكور"، أن تؤوّل، يعني أن تملك في الحال قصديّة النّص وهذا عمل يبدأ كما يقول "ريفاتير" مع بداية المعالجة اللّغوية والأسلوبية للمقروء ومحاولة تجاوز إكراهاته البنائيّة وفكّ سننه ومعرفة سياقاته بحل تناقضاته المتتاليّة¹⁸.

القصيدة التحاويلية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة نصل الخطاب

ومن هذا المنطلق، يصبح القارئ مجبراً على معرفة مقاصد الشاعر حتى يسهم بشكل منطقي في توقيع شعريته، من خلال عمليتي التأويل والفهم لبناء القصد والكشف عنه وليس الانتهاء إليه، فالنص الشعري عمل مفتوح يمتلك سمة الحركة الإنتاجية التي تنطلق من النص باتجاه المتلقي ثم ترتد منه نحو النص لتعطي في النهاية نصاً متجدداً باستمرار. هذا النوع من الحوارية بين النص الشعري وقارئه تنبئ عن مقاصد ماورائية تسهم في الخروج بالنص إلى معان جديدة، فيكون تركيز القارئ هنا على التقاط المعاني ومقاصد الشاعر الثاوية.

ومعلوم أنّ القارئ في تفاعله مع النص الشعري، يكون أمام حوار جدلي بين مخزون تجاربه المغيبيّة وتجربة النصّ المجسّدة، ومرجعيات الشاعر المستمدّة؛ فليس غريباً أن يستمدّ الشاعر مرجعيّات نصوصه من أنساق ثقافيّة تعكس وعياً لذاته، فكثير من النصوص الشعريّة قائمة على مرجعيّات معرفيّة جدّ واسعة ما يجعلها مستعصيّة على قراء عاديين تستدعي منهم ذخيرة معرفيّة، وليس صعباً طبقاً لمبدأ التعاون بين الشاعر والقارئ أن يصل كلّ منهما إلى إدراك قصد الآخر، فيسعى القارئ لبلوغ القصد متكلّناً على ذخيرته المعرفيّة في كشف احتمالات النصّ الشعري الممكنة.

لا يتجلى مبدأ القصديّة إلّا من خلال إحداث التفاعل بين الشاعر والقارئ في القصيدة، فيكون عمل القارئ قراءة النصّ الشعري قراءتين؛ استكشافية وتأويليّة يسعى من خلالهما إلى تحقيق نسق التوافقات النصّية، فالنصّ الشعري لا يشير إلى موضوعه الذي يقصد إليه، وإنّما يكتفي بالإشارة إلى أفعال الفهم التي تنتهي إلى تشكيل المقاصد فتصبح مهمّة القارئ الكشف عن قصد النصّ الشعري وليس الكشف عن قصد الشاعر. فبالقدر الذي يرتبط فيه القارئ بالنصّ، يزداد فيه القصد تشكّلاً وتبلوراً على مستويات معرفيّة مختلفة، ولتثبيت القصد في النصّ هناك دائماً احتمالات في النصوص الشعريّة تحرك التفاعل بين الشاعر والقارئ.

وعليه فالقصديّة تجمع بين الوعي واللاوعي لحظة انبثاق الدلالة وتوجّهها، فيصبح المعنى بعد ذلك إعادة معايشة لوعي ولا وعي الشاعر، والسبيل في ذلك هو اللّغة باعتبارها عنصراً هاماً يضيء بنية النصّ من بداية التأويل حتى نهايته، فيسعى الشاعر إلى إيصال مقاصده عن طريق اللّغة إلى قارئ لا يضطلع إلى ذهن الشاعر إلّا من خلال النصّ، فيتّمسّد النصّ عن قصد شاعره ويفتح بذلك للقارئ مجالاً لقراءات واسعة.

نحن هنا أمام إشكاليّة تحتمّ علينا البحث عن كينيّة مقاربتها، وبالتالي سنقف على نماذج من شعر "الأخضر بركة" في محاولة منّا لرصد الاختلاف بين الشاعر وقرائه في فهمهم للمعاني التي تعبّر عنها النصوص، فالوصول إلى القصد الذهني الكامن والمغيّب أحياناً هو معدّل الوصول للمعنى عن طريق مقصد الشاعر، فالمعنى -حسب ما نعتقد- قبلي وبعدي، قبلي موجود

لدى الشاعر قبل ولادة النص ليبعد معناه الشعري وبعدي موجود في اللغة لا يمكن إيجاده عند القارئ إلا بعد ولادة النص وتحققه.

ثالثاً: القصد من حدود الكتابة إلى حدود القراءة:

يعتبر النص الشعري كائناً حياً ينقل جينات وبصمات كاتبه، هذا الأخير ومن خلال لغة خاصة يحوّل النص الشعري إلى صورة فوتوغرافية تتطابق معه ومع ملامحه وأحاسيسه وكل تفاصيله، في سعي منه لنقلها إلى قارئ يتصورها كما يريد الشاعر وكما يعبر عنها النص، غير أن ما يقصده الشاعر لا يكون واضحاً في أكثر الأحيان؛ نظراً لاحتمال النص الشعري أكثر من دلالة ولتعدد القراءات التي تدّعي كل منها بقصدية النص ومقصدية الشاعر. لذلك تحاول الكتابة الشعرية باعتبارها سلوكاً فكرياً ومنظومة ذهنية ونفسية ونسقا تداولياً، أن تثبت حضورها كتداول فني في توجيه النص الشعري ليكون وفق رؤيتين، إحداهما تتعلق بالشاعر والأخرى بالمتلقي، وفق حركة التداول القصدي المرهون بعناصر التواصل والتي تكشفها اللغة أو السياق.

وتضعنا النصوص الشعرية أمام فاعلية حقيقية للرؤية الشعرية المرتبطة وظائفها أساساً برؤية انفتاحية، إذ أنّ النص الشعري يخفي وراءه جملة مقاصد يسعى القارئ إلى تأويلها من خلال تفاعله مع النص ومحاولة رصد مرجعيّاته المغيبيّة؛ وبالوقوف على أعمال "الأخضر بركة" * الشعرية تتبدّى لنا فيها جلياً مرجعيّات مستمدّة من أنساق ثقافيّة مختلفة، تعكس وعياً وإدراكاً للذات الشاعرة القادرة على خلق نصّ يحمل كينونته الخاصة، والتي تستدعي التركيز على جملة من المعايير النصيّة المعبرة عن خصوصيّة الوعي باللغة لذات لا تفتأ ممارستها وعياً بذاتها، فحدود الكتابة للذات المنشئة للنص تسهم في فتح حوار بين النصّ بأنساق هو مقصديّاته الدلالية، وبين قراءة تتيحها أساسيات تحاول ترميم وإعادة تجميع القصد. وإذا كانت قراءة النص الشعري إجابة على سؤال كتابته، فإنّ دلالات النص لا حدود لها مثلما لا حدود لقراءاته وتأويلاته، إذ ليس النص الشعري "سيرورة تواصل فحسب تكوّن منها مجموعة من العناصر هي سلسلة من الملفوظات السياقية والتلفظيّة والقصديّة، كما أنّه ليس مضمّرات أفعال كلاميّة وملفوظات حجاجيّة، بل هو مسار توليدي يتشكّل وفق قوانين كما قال حازم، هي عمليّات لغويّة يلعب قصد التأثير دوراً في استثمارها"¹⁹، وتبعاً لهذه الفكرة فإنّ قراءة النص الشعري تتجاوز قصديّة منشئه لتمنحه فعاليّة يكون فيها خطاباً استثنائياً قائماً على الإقناع.

إنّ حدود الكتابة الشعرية القادرة على امتلاك ديناميكيّة خاصّة في مساراتها ومجمل بنياتها، هي بلا شكّ قادرة على تكوين نصّ يرصد "إحداثيات الصمت"²⁰ ويتفاعل في مختبره

القصدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة فصل الخطاب اللغوي مع "كيمياء الصلصال"²¹، فتأخذ الكتابة بعدها التداولي والمرجعي على أساس ما تنتجه من دلالة، فتتحقق معها القراءة حضوراً وتداولاً، لأنّ الشاعر يدرك أن رهان الكتابة بما يمثله من قرائن لفظية، مؤسس على وعي كفيّل بتأسيس إشارات ودلالات قابلة للتأويل. نصوص "الأخضر بركة" الشعرية في اشتغالها على الكتابة تستدعي جرأة لولوجها وفكّ شفراتها؛ ما يمنحها سمة التعددية في الدلالة لتكون أشبه بكيمياء "الفعل التي تحدّث عنها رأمبوتلك الكيمياء التي تجتمع بفضلها داخل الجملة كلمات لا تجتمع من وجهة نظر المعايير الاستعمالية للغة"²²، كما تستدعي امتلاك كفاءة تداولية واستثمارها داخل النسيج النصي وفق أسس تتبني الفرادة لتتيح للقصد التمدد في أطر النص المعرفية بين حدود كتابته وتفاصيل قراءته.

1- العنوان:

إنّ من يحاول استجلاء القصد في نصوص الشاعر "الأخضر بركة" يستوقفه عنوان الغلاف _الأعمال الشعرية_ بتشكيلاته الصورية ويدفعه للتساؤل: هل كاتب الأعمال الشعرية فارق الحياة وجمعت أعماله في مدونة سُميت كذلك؟ أم أنّ كاتبها يحاول الفصل بين منجزاته الشعرية والنثرية؟ أم أنّه ترك كتابة الشعر وتوجّه إلى نوع أدبي آخر؟ ويلاحظ القارئ أنّ صورة الغلاف _التي هي جزء من لوحة (الطيب العيدي)_ تتكوّن من مجموعة من الرسوم والألوان وبعض الحروف المبعثرة فضلاً عن الغلاف الخلفي الذي تضمّن أسطراً شعرية شكّلت حروفاً متفرقة في نهايتها اسم الشاعر:

يسافرُ

مثل النيزك بي هذا الاسم..

منذ امرأة وضعتُه..

حتى..

لحظات سقوط الورق الأصفر في الماء:

ألف

خاء

ضاد

راء.

وإدراك القارئ لعنوان النص ومقصده، بمثابة مفتاح للدخول إلى النص من خلاله، غير أنّ بعض العناوين تأتي منفصلة عن نصّها وهذا ما يشكّل صعوبة في التأويل لديه. لذلك تجد القارئ للأخضر بركة مرتبكاً أكثر ضمن حدود المدونة وتائهاً بين عناوينها التي تنمُّ عن مرجعية ما، كما في محاربت الكناية في مقامات الجسد، في إحداثيات الصمت وكيمياء الصلصال

كتابات تحمل غموضاً بين سطورها ممّا يعزّز أحياناً الاختلاف بين ما يقصده الأخضر وما تقوله نصوصه وما يفهمه القارئ، فالعناوين التي عزّز بها الشاعر الأخضر مدوّنته تدفع بالقارئ للبحث من خلالها عن إضاءة لنصوصه الشعريّة من أجل تحديد جوانب من مقاصدها الدلالية، باعتبارها مساحة يجتمع فيها داخل النصّ اللغة الواصفة بخارجه القارئ فتكون الانطلاقة من العنوان إلى النصّ ومن النصّ إلى العنوان وفق حركة تداوليّة يحكمها السياق واستراتيجيّات التّخاطب.

تمارس العتبة النصيّة "كتابة" لعبتها على القارئ بتجاوزها الدلالة إلى أفق ما فوق الدلالة، وتدفع به إلى التساؤل عن سياق مدلولاتها: ما الكتابة؟ وكتابة ماذا؟ وإذا كانت الكتابة هنا هي ذلك الفعل الإنجازي والصوت المنحوت الذي يعلن كلّ مرة عن ميلاد نصّ جديد، فما الذي سيعلنه الأخضر بركة؟ ليستفّر العنوان ويدفعه إلى الانطلاق من العتبة إلى النسيج الداخلي للنصّ وخلق السياق العام الضّروري لفهمه فيقرأ:

من أين تدخلُ حشراتُ الكونِ في صمّتِ الوريقة

في طاولة..

أرى جسداً يفتّش عن يدٍ أخرى له

ليشدّ خاصرة الحقيقة²³.

يحاول شاعرنا عبر هذه الأسطر ومن خلال الكلمات المفتاحية (كتابة، الكون، الوريقة، جسداً يفتّش، خاصرة الحقيقة) توجيه القارئ إلى المعنى الذي يقصده للوصول إلى دلالة نصّه، وفكّ مغالقي الالتباس فيه "للدخول منها إلى نصّه الشعري"²⁴، والواقع أنّ "الأخضر بركة" يُدرك أنّ نصّه يترك القارئ أمام تعدديّة المعنى، لذلك يتطلّب منه بذل جهد لاستحضار قصد النصّ الثاوي حتى لا يقع في التّأويلات اللاشعريّة، خاصّة وأنّ هذا النصّ جاء مختصراً يقترب من قصائد الهايكو، لذلك نقلنا من حالة لحالة حيث ربط الكتابة بالوريقة على الطاولة، لينتقل إلى الجسد الذي يفتّش عن يدٍ أخرى له، فاستطاع شاعرنا على إثر ذلك الإشارة إلى مقاصد عديدة، وعبر سياق النصّ اللّغوي وفضاء عباراته شعرنا أنّ الأخضر أراد تدوين شيء ما على وريقته فاستوقفه الجسد، وتصورنا الجسد بأنّه مرسوم على طاولة في مكان عام تركه أحد الجالسين عليها؛ فكلّ لفظ دونه شاعرنا أتى حاملاً لقصد معيّن، فالألفاظ باعتبارها أوعية للمعاني؛ المجهورة والمتبلورة عن طريق التّأويل كلها تعكس قصديّة ما للشاعر.

فثمّة قصد آخر مجاور يريده الشاعر من وراء نصّه الشعري والقائم "في الغالب على لعبة الخفاء وستر النوايا بالتّمويه وتقمّص أفئدة مختلفة"²⁵، فالنصّ الشعري بوصفه تركيباً نصيّاً ينتظم وفق شبكة علاقات دلاليّة يتضمّن مقاصد، وما ينتجه القارئ عبر التّأويل

القصدية التحدائية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة فصل الخطاب
من خلال القراءة السطحية والقراءة العميقة للنص الشعري يوجي بتعددية تلك المقاصد؛ هذه
التعددية هي نتيجة إما لإيغال الشاعر في اقتناص الغرائبية أو لوصول الدلالة لدرجة الصفر
خاصة إذا كان النص الشعري لوحة متداخلة الخطوط والألوان في حدودها.
2- السياق:

تشير الألفاظ في نصوص "الأخضر بركة" لأكثر مما تقوله إذا تحركت من داخل النص
مستعينة باللغة والسياق المرتبطين في الأساس بحركة القصد النامية في النص، وتشير إلى مالا
تقوله إذا عزلت عن المواقف والسياق الذي وردت فيه، ويلعب السياق دورا في تحديد القصد؛
كونه عنصرا مركزيا يضمن فهم وتأويل النص الشعري، وأداة كفيلة بخلق التفاعل بين الشاعر
والقارئ، لذلك تكتسب الألفاظ مدلولاتها بالسياق وتتغير بتغيره. وقد اعتمد شاعرنا في أكثر من
موضع على تقنية تفرغ الألفاظ من سياقها الأصلي بمدلولها الذي تحمله ووضعها في مدلول
جديد يحدده سياقها الشعري، يتجلى ذلك حين نطالع نصه "بيان المرايا":
أعود إلى قول من هؤلاء الذين....

كلما نطقوا اهتز شحم البلاغة، يُرثون كي يرثوا
كلما قيل نص أتوا عالمين بتأويله، كلما..
قيل أخرى.. جروا بمعلق دنياهم نحوها آخر العمر يزددون

يخيطون للغيب جبته بالمقاس الذين يلبسون..
يقولون إنا عشائرننا....

سعة الكون حيث انتهى حد إقليمتهم، كلما..
قيل نص قضوا منه أوطارهم ومضوا..
كلما قيل مآدبة هزلوا....

ينتشون... بأن يذكروا في الحضيض الرفيع كما آلهة
قوتهم أن يقال لهم: إثمهم، إثمهم...
قوتهم أن يمتوا
أن يظنوا الذي ليس منهم، عليهم

وإذا سمعوا الصيحة استعجلوا قطم

يعبرون الحياة كما تعبر الدودة الفاكهة²⁶.

وهنا يتجلى للقارئ من الوهلة الأولى أن النص يستفز لينظر في سياقه ويحدد دلالة
الفاظه؛ فنص الأخضر وإن تشكّل لا يكتمل إلا بتجسيده الدلالة المفتوحة على السياق، لذلك
جعل القارئ يتتبع الاحتمالات الممكنة التي يتيحها السياق لإيصاله للقصد، من خلال مجموع

الألفاظ المتعاضدة مع السياق اللغوي المبلورة للقصد الدلالي، وقد عمد الشاعر إلى تصعيد الاحتمالات المفترضة عن طريق توصيف المعنى، فعلى مستوى السياق (مَنْ هؤلاء، كُلُّما نطقوا اهتزَّ شحم البلاغة، يُرثون كي يَرثُوا، كُلُّما قيل نصُّ أتوا عالمين تأويله، جرؤا بمعلق دُنياهم، يخيطنون للغيب جَبته، قُوَّتهم أن يمتُوا....) ألفاظ تشغل وعي الشاعر، وتحديد السمة الدلالية لتلك الألفاظ محكومة بسياقها اللغوي وغير اللغوي، خاصة وأن نصَّ الأخضر أوسع من أن تُسيج سياقه اللغوي، فالبحت عن القصد في السياق الشعري مرتبط بانتقال السمات الدلالية كلها من سياق لغوي لسياق لغوي آخر.

ويلاحظ القارئ أنَّ الدلالات الماثلة في النص تتجاوز سياقها الشعري لتؤكد أنَّها دلالات نصية مفتوحة ولا متناهية؛ تسعى إلى تأكيد انتمائها النصي باستحضار سياقات نصوص أخرى، وللتدليل على ذلك نأخذ قوله:

وإذا سمعوا الصيحة استعجلوا قطعهم

اكتسبت هذه الإشارة النصية دلالات إضافية بتفعيلها إشارات مقتنصة من النص القرآني، ممَّا أدَّى إلى "تحويل الطاقة الحجاجية للملفوظات؛ ومن ثمَّ إلى توليد طاقة حجاجية إضافية"²⁷، حققت من خلاله تفاعلا نصيا ضمن سياقها الشعري يستحث قارئ النص ويدفعه إلى استنكاها علائقها، فأثبتت بذلك أنَّ السياق اللغوي والشعري ومحاوره النص والدخول معه في جدلية مفتوحة من الأمور المحرّضة لمجتمع التلقي على الوصول للقصد.

والأمر لا يتعلّق بمقاصد خفية بل بمقاصد ينتجها القارئ عبر حدود النص السياقية واللغوية، ووجب التأكيد هنا أنَّه لا يمكن فهم تلك المقاصد دون الكشف عن معطيات السياق العام للنص، فالسياق إلى جانب أنَّه يحكم عملية الفهم يشكّل أكبر القرائن التي تحكم المعنى الذي يوازي مقصد الشاعر، لذلك يفقد النص الشعري قصده إذا عزل عن سياقه، ويمكن التأكيد على أهمية السياق بالنسبة للنص وكيف أنَّ النص يفقد قصده إذا عزل عن سياقه من خلال الوقوف على نص "شيء واحد يبقى":

تحتك بالشجر السَّمَاءُ

ويحطُّ عصفورٌ على سلكٍ أمامي الآن،

عصفور حقيقيٌّ يطيرُ...تبعته سهواً...

مشيت قرابة الخمسين متراً، ثمَّ عدتُ

وقفت قرب الباب، هل ستدق كفي الباب...؟

شيء واحد يبقى:

كلامٌ لم أقله²⁸.

القصدية التحاولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة فصل الخطاب
إنّ من يحاول عزل تلك الأسطر عن سياقها اللغوي وسياقها الشعري الداخلي والخارجي، يجد نفسه يقرأ نزهة للشاعر انجرت عن تتبعه لطائر، عكس من يحاول بقراءته المتأنية الاندماج الكلي مع النص، يستحضر مرجعيّاته المغيبة ليصل إلى قصده الثاوي، ويدرك أنّ اللقطات والألوان والصّور والمشاهد التي حوتها الأسطر جعلت منها لوحة تشكيليّة، كما يدرك أنّ سياق "احتكاك الشجر بالسّماء، يحطّ عصفور، يطير، مشيت...عدت، وقفت، تدقّ كفي الباب، كلام لم أقله" الشعري سبيل للفهم الواقعي للنصّ والإحاطة بقصده. ويتوسّل القارئ بنص آخر من نفس السياق الشعري؛ في محاولة منه لإيجاد تفسير للكلام الذي لم يقله الشاعر، ليجد الإجابة في نصّ آخر:

الكلام الذي لم يقله

دم...طعنة

نفس راعش اللمس..

حنجرة شائكة²⁹.

3- اللّغة:

من سمات اللّغة التفاعلات القابلة للتّوالد، وإذا كانت اللّغة في مستواها الإبداعي ولاسيما الشعري أداة إخفاء فهي أيضا أداة كشف تقود القارئ وتبيئه لبناء القصد، فالقارئ يجد في اللّغة ما يدفعه للبحث عمّا هو مغيب، من خلال الولوج إلى عمق النصّ وكشف ما لم تقله اللّغة، الأمر الذي يتنافى ومقولة "نتشه" "ما هو جميل يوجد على السطح"، وهي مقولة تنطبق على اللّوحات التشكيليّة؛ فلكلّ خصائصه، للنصّ الشعري خصائصه التي تميزه، واللّوحة التشكيليّة أيضا، وهذه الأخيرة تختلف عن ذلك إذا تعلّق الأمر بالقصد. فالحركيّة التي تنتظم من خلالها اللّغة التي تحتفي بالمضمّر لتشكل نصّا متممّا على أحاديّة المعنى وتنتج مقاصد مستقلّة، تقوم على تجاوز الموائيق الشعريّة لتؤسّس كينونتها على عناصر اللّغة؛ على التّكثيف والرّمز والتّخييل، باعتبارها ثقوبا جماليّة أو فيزا لولوج الحدود المعرفيّة للنصّ "وفق منظور رمزي ناقل لتلك المفردات وإعطائها حرّيّة الانتقال من أنا المفكّر إلى الآخر المتلقّي"³⁰، هذا الأخير وعن طريق اللّغة يستجلي المخفي ويستحضر المغيب ضمن السياق النصّي.

تحاول نصوص الأخضر بركة الشعريّة كأيّ عمل أنطولوجي التّعامل مع اللّغة بطريقة خاصّة؛ تتجاوز المألوف والثّابت في اللّغة، وتتخذ من التّكثيف والتّرميز منهجا صريحا لها، لذلك يجد القارئ نفسه أمام إطار تفاعلي يمتلك ديناميّته الخاصّة، ونشير إلى أنّ النصّ الذي يفقد أطره التفاعلية مرشّح لفقد ديناميّته، لذلك نرى الأخضر يضع القارئ في لعبة شعريّة توهمه

بالواقع وتبعده عن التُّرْثَة الشَّعْرِيَّة وعن التَّعابِير المطوَّلة وعن الباروكات اللُّغويَّة الزَّائِدَة، تزاوج بين الحسِّي الميثولوجي والدَّهْنِي اللُّغوي فيقرأ:

وجهي مكان..

يَتَمَتَّه الشَّمْسُ، ماضِيَّ غِبَارُ قَدَمِي فِي التَّيِّه

ماضِيَّ "هَقَار" .. طَاعَنُ فِي السَّنِّ،

والمستقبل الحافي خطائي

في رمال الحيرة الأولى، سَمَائِي

غَيْمَةٌ حُبْلَى تَفِيضُ

بدموع النُّجْمِ فِي الأفق الهلامي³¹

جاءت اللُّغَة هنا لمعرفة اللُّغَة ذاتها؛ موجزة تحاكي القول المعروف كلَّما ضاقت العبارة اتَّسَعَت الرُّؤْيَة، وعارية صامتة تدفع بالقارئ إلى اللَّانْهَائِي غير المتوقَّع، من خلال كشف تلو كشف لفضاءات النَّصِّ الشَّعْرِي فِي القادرة على قول "ما لم تعتد قوله أو أكثر مما تقوله عادة"³²، تعطي القارئ الدَّلالة وتترك له مهمَّة الوصول إلى المعنى أو القصد. الأخضر هنا يستند على ذخيرة لُغَوِيَّة خاصَّة بالصحراء "شمس، غبار، هقار، رمال"، جعلت من نصّه وثيقة إنسانيَّة تاريخيَّة.

وتضبط نصوص الأخضر بركة العلاقة بين فلسفة اللُّغَة وفلسفة المعنى، وتدفعنا لغتها الشَّعْرِيَّة إلى قراءة النَّصِّ الشَّعْرِي لا بوصفه نصًّا تحكمه ضوابط لُغَوِيَّة، بل نصًّا يحوز في مضامينه سؤالاً فلسفيًّا، فمن يقرأ:

كن..

فتنة تعصفُ أوراق اليقين الأصْفَرِ العَقْلِي، اقترفني

جرساً من موج معمار الشجا يعلو

وينهار ويعلو،

للدُّجَى خيلٌ من الأنفاسِ تعدو كظلالٍ،

للدُّجَى ومُضَاتٍ خلخالٍ مُثْنَى³³.

تستوقفه لغة الدَّهْشَة التيتوحي بخروج الدَّلالة من رحم اللُّغَة، من فضاء الدَّأَكْرَة إلى فكر الشَّاعِر، أين يمتزج فيها الواقعي باللاواقعي، ليتألَّف أمامه نسيجاً نصيًّا يشكِّل نمطاً خاصاً يتجلَّى القصد فيهمن خلال استخدام دلائل لُغَوِيَّة تحمل معنى واضحاً.

نخلص في ختام هذه الورقة البحثيَّة التي حاولنا أن نجتمع فيها بين مستويين اثنين: القصديَّة والتَّدَاوُلِيَّة إلى أن نصوص "الأخضر بركة" الشَّعْرِيَّة تجمع بين الوعي واللاوعي، وهو ما

القصدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة فصل الخطاب

تسميه ماريا ثامبرانو "العقل الشعري"، وطبيعة هذه النصوص تحيل قارئها على لعبة تداولية مارسها الكاتب مع نصوصه؛ تمثلت كأفعال تداولية لها قصد معين، ومما لا شك فيه أن معيار القصد لعب دوراً هاماً في تحقيق التفاعل بين الشاعر والقارئ منتج المعنى، هذا الأخير الذي انتقل من طرح سؤال: لماذا لا يكتب الشاعر ما نفهمه؟ إلى طرح سؤال: لماذا لا نفهم ما يكتب؟ لينساق قارئ "الأعمال الشعرية" وراء البحث عن مكان من القصد الثاوي فيها وبيان مقتضياتها الدلالية، باستثمار المعطيات الواردة فيها من لغة وسياق واستراتيجيات تخاطب، مما فتح باب التفاعل مع النصوص الشعرية عبر مساءلتها ومتابعة ما فيها من دلالات مستترة، فالشاعر الأخضر لم يخلق نصوصه إلا ويقصد من وراءها شيئاً، سواء أكان ذلك بوعي منه أو بدون وعي، الأمر الذي استدعي اقتناص دلالاته المتخفية للوصول إلى فهم مشترك معه، ليتعدى الأمر إلى البحث عن النيات المتخفية وراء النص عبر اللغة والسياقات الفاعلة والحاملة لقصدية واضحة.

ما قرأناه للأخضر بركة يبرهن على إمكانية خلق عوالم ذات بناء شعري؛ حيث القصد الذي لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال فكّ ألغازه الحاملة لتأويلات عديدة، لذلك جاءت نصوصه تتسم ببنيته السيميوطبقية، أين نحسّ أنها لعبة لغوية تفصح عن رؤيا خاصة.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- المهدي إبراهيم الغويل: السياق وأثره في المعنى دراسة أسلوبية. د.ط، ليبيا، أكاديمية الفكر الجماهيري، 2011م، ص8.
- 2_ طه جابر العلواني: مقاصد الشريعة، مجلة المقاصد، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، د.ت، ص99.
- 3 -محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.ط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص12.
- 4- الجاحظ، أبو بحر عمرو بن عثمان: البيان والتبيين، تج: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط7، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1998م، ص ص89-90.
- 5- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، المرجع السابق، ص15.
- 6- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، بنغازي-ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2004م، ص24.
- 7_ محمود أحمد نحلة: المرجع السابق، ص12.
- 8_فرنسوا أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، د.ط، الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986م، ص48.
- 9_طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، د.ط، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص07.

- 10- محمد خطابي: لسانيات النص، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1991م، ص 297.
- 11- فرنسوا أرمينكو: المقاربة التداولية، المرجع السابق، ص 192.
- 12- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر (مقاربة دولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)، د.ط، المغرب، إفريقيا الشرق، 2006م، ص 54.
- 13- نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 2003 م، ص 493.
- 14 - محمد عبد المطلب: النص المفتوح والنص المغلق، مجلة الموقف الأدبي السنة الرابعة والثلاثون، ع 398، دمشق، ص 11.
- 15- أبو غزالة وحمد: مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص 99-100.
- 16 - الجرجاني: دلالات الإعجاز، المرجع السابق، ص 267 / 268.
- 17- محمد عزام: النص المفتوح التفكير أنموذجا، مجلة الموقف الأدبي، ع 398، دمشق، حزيران، 2004م، ص 54.
- 18-Michael Riffaterre: *Essais de stylistique structurale*, Paris, 1971, P: 46.
- * الأخضر بركة (من مواليد: 1963/12/05. بالمحمدية ولاية معسكر. الجزائر. أستاذ التعليم العالي بجامعة الجيلالي اليابس كلية الآداب واللغات والفنون. قسم الأدب العربي. سيدي بلعباس. الجزائر. صدر له: الأعمال الشعرية سنة 2013 بدار ميم بالجزائر العاصمة. ويشمل أربع مجموعات شعرية، هي كالاتي: إحداثيات الصمت مجموعة شعرية عن منشورات اختلاف سنة 2002، محاربت الكناية مجموعة شعرية عن دار الأديب بوهان سنة 2007، مقامات الجسد، تجاعيد الصلصال. كتاب الزيف في الشعر العربي المعاصر، بدار الغرب سنة 2002. كتاب خطاب الزمن في الشعر الجاهلي. الجسد والمكان واللغة. بأكاديمية أبو ظبي سنة 2014. إلى جانب كتابة الهايكو.
- 19- أمنة بلعلي: سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، ط1، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، 2013م، ص 158.
- 20 -الأخضر بركة: الأعمال الشعرية، ط1، الجزائر، دار ميم للنشر، 2013م، ص 5.
- 21 -المصدر نفسه: ص 95.
- 22- جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، المغرب، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م، ص 113
- 23-الأخضر بركة: الأعمال الشعرية، المرجع السابق، ص 25.
- 24- عادل ضرغام: في تحليل النص الشعري، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2009م، ص 24.
- 25- محمد ناصر العجي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، ط1، تونس، سوسة، منشورات كلية الآداب، 1998م، ص 659.
- 26-الأخضر بركة: محاربت الكناية، ط1، الجزائر، منشورات دار الأديب، 2007م، ص 23، 24.
- 27-رشيد راضي: الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، ع 1، مج 3، 2005م، ص 235.

القصدية التداولية مقاربة وتطبيق: قراءة في نماذج من شعر "الأخضر بركة" — مجلة فصل الخطاب

- 28-الأخضر بركة: الأعمال الشعرية، المرجع السابق، ص 23.
- 29-المصدر نفسه، صص 42، 43.
- 30-عباس علي جاسم، القصدية الحكمية وقضية التفسير القرآني، ط1، مركز الولاية للدراسات والبحوث، 2005م، ص 39.
- 31-الأخضر بركة: الأعمال الشعرية، المرجع السابق، ص 63.
- 32- أدونيس: سياسة الشعر، ط2، بيروت، دار الآداب، 1996م، ص 21.
- 33-الأخضر بركة: الأعمال الشعرية، المرجع السابق، ص 153.